زجاج المعرفة

المساحات الخضراء الشاسعة تريح العينين، وتبهج النفس.

السماء المزينة بالسحب البيضاء الناصعة تزيد المشهد بهاء.

تساءل الشاب الأسمر عن طقس اليوم وهل يستمر صحوًا إلى المساء؟

في حركة تلقائية أخرج صديقه الأبيض جهازًا لوحيا وجعل يحرك أصابعه على الشاشة بمهارة وسرعة، وما لبث أن قال مبتسمًا:

– اطمئن يا صديقي سيستمر الجو كما تحب، ويمكننا أن نخرج في نزهتنا.

انبسطت سريرة الأول وتهلل وجهه، وهو يقول:

– إذن هيا بنا ننطلق في الحقول الخضراء، نريد أن نقضي نهارنا كلَّه بين أحضان الطبيعة.

ركب الصديقان سيارة جيب صغيرة، وأدار الأسمر مفتاح المحرِّك لكنه أحدث صوتًا متقطعا ولم يَدُرْ، حاول مرَّة ثانية وثالثة ورابعة ولم يفلح، بدا عليه الضيق الذي تزرعه خيبة

الأمل، وقبل أن ينبس بكلمة كان صديقه قد أخرج جهازه اللوحي وأخذت أصابعه تلعب بسرعة على شاشته، ثم قال:

– يمكن أن تكون المشكلة في البطارية، ويمكن أن تكون في دورة البنزين، علينا أوّلا أن نختبر البطارية .. هل لديك مجسات؟

نزل الأسمر من السيارة وفتح غطاء غرفة المحرك، مدَّ يده يتأكد من أن أظافر البطارية مثبتة بإحكام، وطرق عليها طرقات، ثم عاد يدير المفتاح، لكنْ دون جدوى، زفر زفرةَ ضيقٍ وهو يقول:

– ألا يوجد ميكانيكي أو كهربائي في الجوار؟

لعبت أصابع الأبيض سريعا على الشاشة، وبعد فترة صمت قال:

– للأسف أقربهم إلينا على بعد عشرة كيلو متر.

– وماذا سنفعل؟

– يمكننا أن نطلبه عن طريق هذا التطبيق وننتظره.

– وماذا لو تأخر؟

– ليس بيدنا شيء.

– إذن ضاعت نزهة اليوم.

– لا بأس يمكن أن نعوضها غدًا.

– وماذا لو تقلب الطقس؟ أنت تعرف أن الجو متقلب في هذه المنطقة تارة صحو وتارة رياح وأمطار، وقد ...

قاطعه صديقه الأبيض قائلا: دعنا نتعرف أحوال الطقس غدًا، وبحركة تلقائية حرَّك أصابعه على شاشة جهازه بينما كان الأسمر يغلق باب السيارة، ثم يتأمل زرقة السماء وخضرة الأرض، غرق بذهنه في الآفاق، حتى أعاده صوت صاحبه:

– هناك أقوال متضاربة، لا أدري أيها أصوب.

– كيف؟

– بعض المواقع تقول إن الجو سيستمرُّ صحوًا طيلة يوم غد، وبعضها يقول إنَّ هناك موجة رياح شديدة ستصل إلينا منتصف النهار.

– ما هذا؟ وأيَّهما نصدق؟

– لا عليك دعنا نعود إلى المنزل الآن ونفكر كيف نقضي يومنا.

اتجه الصديقان إلى بيت صغير مكون من طابقين وسط الحقول، وبينما هما يدخلان إلى البهو رأى الأسمر حية سوداء طويلة جدًّا تزحف بجوار الجدار الخارجي، فصاح في خوف وهو يشير إليها:

– ثعبان ... ثعبان ... انظر هناك.

– لا تخف راقبه حتى انظر كيف يمكننا التعامل معه؟

وفي سرعة داعبت أصابعه شاشة الجهاز، وأخذ يُمِرُّ سبابته عليها في خط مستعرض، ثم رفع رأسه موجها نظره إلى الحية، وهو يقول:

– هذا النوع يسمى المامبا السوداء وهو ثاني أكبر ثعبان سام في العالم بعد الكوبرا الملكية، كما أنَّه من أكثر الأنواع إثارة للخوف في إفريقيا، وهي مفترسة نهارية تعتمد على الكمائن ...

صرخ الأسمر في هلع:

– كفى كفى لقد تسمرت قدماي من الرعب .. ما هذا؟ كيف نتعامل معها؟

– انتظر قليلا هنا يقول ...

– من هذا الذي يقول؟ وما أدراك أن كلامه صحيح، ألا ترى أننا يمكن أن نموت بسبب اعتمادنا على كلام لا ندري من قائله؟

أخذت الحية تغير اتجاهها نحوهما، فتحول الخوف المقيِّد إلى خوف مطلِق، وانطلقا يعدوان لا يلويان على شيء.

***